مهرجان المسرح العربي

الدورة الرابعة عشرة
من 10 إلى 18يناير 2024

جمهورية العراق

بغداد

المؤتمر الفكري

اليوم الرابع، الأحد 14 يناير 2024
الجلسة الثالثة: 13:00 – 14:00 ظهراً
إدارة الجلسة: د. جبار صبري (العراق)

المحور: الصورة بين الواقعية واللاواقعية

المداخل: أ. عزيز خيون (العراق)

المداخلة: الواقعية واللا واقعية

الواقعية واللا واقعية

عزيز خيون (العراق)

مر المسرح بالعديد من التغيرات وقدم تنوعا في الابتكار والاجتهاد فلم يكن الثبات والسكون من مميزاته او توجهات بل هو في تحرك وبحث من خلال العقول المبدعة التي أرست ثوابته ورسخت حركته في العالم لان العقل الخلاق لهذا البشري هو عدو للعادة والثبات

والسكون واليأس من إيجاد الحلول ، هو الباحث والمفجّر لكل حركات المغادرة والتطور وصعود أبراج المعرفة والتنوير وهو عبر جميع العصور والدهور في كشوفاته ومخاطرته الكبرى جعل ويجعل للحياة معنى واي معنى.

لذا كانت المتغيرات في الاشياء والتبدلات في المراني والابتكارات في الرؤى مما جعل المسرح مثالا وحاضنة خشبة لتلك التحولات جميعا بوصفه وسيطا جماليا وفكريا يحاور ويحاكي تلك التحولات والمتغيرات في الحياة وفقا لتصورات من يمسك بزمام المسرح الا وهي الطاقة الخلاقة للعقل البشري الذي كان أول من إبتكر المسرح حين إعتلى (ثيسبس) عربته الجوالة ودار بها بين الأمانة منشدا ومترنما بأيات ذلك الجليل والجديد (المسرح) ومن تلك العربة المنصة المتحركة التي جذبت حولها شرائح من المتلقين والمريدين الى صروح عالية شخّصت إليها وتعلقت بها ملايين العيون المتابعة والمأخوذة حد الدهشة بهذا المولود وعوالمه السحرية المتجددة ، لم يكن ثمة ثبات بل تجدد وتغيير وذلك بسبب ظهور العديد من الأفكار الفلسفية والاكتشافات العلمية وحدوث الثورة الصناعية التي جردت الأشياء من قدسيتها والزمتها بالواقع الإنساني اليومي مما أدى إلى ظهور تيارات فنية كان لها دورها في تقييم التجربة الإنسانية على وفق مفاهيم جديدة ولم يكن وجود هذه المتغيرات قد جاء صدفة بل (تضافرت فيه عوامل كثيرة اقتصادية وسياسة واجتماعية وظهرت فلسفات وعلوم ونظريات جديدة كان لها أثر كبير في تحطيم معظم المعطيات الموروثة عن العالم والانسان)١ كان المسرح واحدا من المرافق الحضارية التي تأثرت وأخذت من تلك العوامل التي حركت وأضافت لطرق وآلية العمل فيه ،وتحت تأثير الثورة الصناعية والاعلان عن الفلسفة الوضعية للفيلسوف (كونت) ومع ظهور نظرية دارون في أصل الأنواع كان هناك ظهور مميز للواقعية والتي ظهرت اولا في الأدب ثم إمتدت الى المسرح للتطور وتنضج على يد (إبسن) موجة عاتية جاءت لتطيح بالرومانسية وتظهر الى جانبها الطبيعية في الادب على يد ستندال وفلوبير وأضرابهم ، ومن الواقعية التي إجتاحت المسرح وبفعل المتغيرات التي لا تتوقف جاءت الرمزية والتي تبلورت من خلال الفلسفة المثالية للفيلسوف (كانط) ونظرياته والتي أثرت بالعديد من المثقفين والادباء (العقل البشري قوة خلاقة تعاد صياغة الظواهر الخارجية من خلالها وما المعرفة الا حصيلة نشاط العقل وأعماله في الظواهر الخارجية)٢ ، جاءت الرمزية كرد فعل ضد كل ماهو واقعي او طبيعي وظهر تأثير الرمزية في المسرح الفرنسي على يد الشاعر(مالارميه) وكذلك لدى الكاتب (ميترلنك) و(سترنبرج) ، كان الاختلاف جليل في طريقة التعامل مع المفاهيم والرؤى بين العاملين في فنون المسرح وقد رفض بعضهم الواقعية بشكل صارم كما فعل المخرج المسرحي (كريج) فهو يؤكد (ما يهدف اليه الفن ليس ان يعكس الحقائق الواقعية لهذه الحياة لانه ليس من داب الفنان ان يمشي في أثر الأشياء بل هو من إمتاز عن سائر الناس بأن يسير أمامها بأن يكون له قياد كل شيء وبالمثل ينبغي أن تعكس الحياة صورة الروح وذلك ان الروح كانت أول من اختار الفنان ليسجل جمالها)٣، نعم لم يكن ثمة ثبات في فن المسرح فيما يتم إنجازه ويتفق عليه لا قناعة ولا تكامل إنما شك متواصل وحركة باحثة نعمة تجاه رغبة الاكتشاف واليقين ، التمرد والازاحة ، الهدم والبناء ، لذلك لا عجب ان كان من حاكى الطبيعة في عصر من العصور بكل ما فيها ومن حلّق بالرومانسية في الأحلام والعواطف الساخنة والخيالات الجامحة والمشاعر الملتهبة ولا غرابة في الأمر حين جاء من ترجل عن تلك العواطف الفوارة الى حيث مهاد الواقع فحاكى ما حوله بحقيقة لا إلتفاف عليها ولا تجميل لها بل كان مصورا بارعا بما يدور ويحدث في فضاء الان والهنا بروح الواقع الذي يحلم به عقل البشري ويتصوره كما يحلم ان يكون أكثر جمالا مما هو عليه في حقيقة الحال ، حيث عبر عن هموم الناس وكان صوتهم والضمير النائب عما يعانون ويكابدونه في حياتهم اليومية ، وكما اسلفت حين ظهرت الواقعية بدأت اولى ثمارها في الرواية والادب وفي اللوحة التشكيلية ومنها تسللت بوعي العارف والمبتكر الى فضاءات وعوالم المسرح ولم يكن هذا الوسيط الجديد ترفا

او عابرا بل كان ضرورة للوقوف في صف الناس وتأكيد التبدلات التي تطرأ في حياة المجتمعات الإنسانية بفعل الثورة الصناعية والعلمية والتحولات السياسية لان التأريخ في تقلباته الكبرى يحدث رد فعل في النسبج الإنساني فتكون تلك التمظهرات تعبيرا عن ردة الفعل تلك ، وبما ان الحياة دورة متحركة لا تهدأ او تستكين بل هي طبيعة متجددة دوما مثل نهر لا يتوقف في مجراه كان هناك من تمرد على خيارات وإجتهادات الواقعية بفعل الارادة الواعية لذلك البشري ورغبته العارمة في إكتشاف عوالم يجهلها والغوص عميقا في ثراء عقله المبدع بحثا عن رؤى ولُقى يبتكرها ، لذا كانت اللاواقعية في تشظياتها ، الرمزية والتعبيرية والسريالية واللامعقول ، العبث والملحمية ، تيارات ضاحة ومختلفة كفوران الحياة وتفجرها ، لم تكن في المسرح فقط إنما كانت في جميع تجليات الآداب والفنون ، ولعل أبرز العوامل التي كانت محفزا وباعثا لكل هذه التفجرات المتمردة والمتحدية هي الحروب وتداعياتها الخطيرة التي دفعت الفعل الخلاق لهذا البشري ان يواجه ، يعترض ، يرفض ، ويتحدى عبر هذه التيارات الحديثة التي كانت مخاضا لذاك البشري ضد تلك التداعيات التي أشعلت فتيلها قوى متسلطه سحبت إرادة الإنسان وعزلته مستوحدا ، لكن هذا البشري لم يرتضي عزلته. لم يرتهن لاسبابها ، لم يهزم ، وما تزال الساحة الفنية مشرّعة لتلقي تجارب وتيارات وتوجهات أخرى بعضها يعوم في الواقعية والآخر يجنح الى كسر كل ماهو عادي ، يومي ، ومألوف لخلق حالة الصدمة والرفض لان المسرح ومن خلال العرض المسرحي (يتوسط بين الشعر والتاريخ ليتيح لنا داخل مجرى الزمن لحظات معينة نتأمل بها كل ماهو خالد أبدي)

المصادر :

1- شكسبير ، وليم : عطيل ، ت : خليل مطران ، دار مارون عبود ، بيروت ، 1974
2-صليحه، نهاد : التيارات المسرحية المعاصرة ، دائرة الثقافةوالاعلام بحكومة الشارقة ، مركز الشارقة للابداع الفكري ، 2002
3-كريج، ادوارد جوردن : في الفن المسرحي ، ت : دريتي خشبة ، م علي فهمي ، مكتبة الاداب ، القاهرة ، 1960
4-هلتون ، جوليان : نظرية العرض المسرحي ، ت : ايمان حجازي ، م : نبيل راغب ، وزارة الثقافة ، مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي ، الدورة 13 ، 1998